الاستاذ الياس بك القدسي

في اليوم الثلاثين من تموز الماضي فقد المجمع العلمي احد أعضائه الاعزة المرحوم الياس بك عبده القدسي فاشتد على رصفائه المصاب به . ولد في مدينة دمشق سنة ١٨٥٠م وكان والده يعدّ من الاغنياء في عصره بارعاً بالموسيقى محباً للعلماء والادباء بحيث كانت داره مباءة لهم على اختلاف مذاهبهم ومشاربهم ، ولما ترعرع ولده دخل مدرسة ابتدائية لطائفة الروم الارثوذكس فتلقى فيها مبادئ العربية واليونانية ثم وافى مدرسة عينطورا في لبنان فأتقن اللغة الافرنسية وبعد ذلك غادر الشام الى آثينة فدرس في جامعتها ست سنين ونال شهادتها المؤذنة باتقانه اللغة اليونانية القديمة والحديثة . وتعلم مبادئ الايطالية والانكليزية والتركية ، وعاد في سنة ١٨٧٢ الى دمشق يتولى برعاية والده شؤون القنصليات اليونانية والبرتقالية والبلجيكية والهولاندية وظل على ذلك الى سنة ١٨٨٨ فولي قنصلاً لليونان ثم وكيلاً للنمسا والمجر وقنصلاً للبرتقال الى قبيل وفاته .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ولقد عهد البطريرك هروتيوس الى صاحب الترجمة بادارة مدارس الروم ، وكانت كتاتيب صغيرة فأنشأها إنشاءً جديداً ، ووضع لها نُظُمها الجديدة وقلبها رأساً على عقب ، وظل يديرها و يعلم فيها أحياناً مدة ٣٣ سنة بلا أجر ، فتخرج به كثير من أبناء هذه العاصمة ، وخدم أبناء طائفته خدمة مهمة بتأسيس اللجنة الطائفية لها ، وخدم الآداب بان كان مؤسس الجمعية العلمية التاريخية سنة ١٨٧٨ . وقد نشأ له غرام بالقراديات او الشعر العامي فنظم على أوزانها المتعارفة بعض النوادر والوقائع ومنها ما نقله عن لافونتين القصصي الفرنسي ومنها ما وضعه وضعاً ، و يدخل ما نظمه منها في مجلدين لم يطبعا وتروق مطالعتهما . وله نحو عشرين قصة تمثيلية وقصة عادية طبع بعضها . ومن تآليفه كتاب في المعميات والاحاجي او ما يسميه العامة الحزازير تبلغ نحو ٢٥٠ موضوعاً وتكون في مجلدة . ومن رسائله المطبوعة مسك الدفاتر على طريقة هو واضعها ، ومقالة في الحرف الدمشقية طبعت في أعمال مؤتمر المستشرقين سنة ١٨٨٣ . وقد جمع طائفة من الامثال الدارجة بالعربية وقابلها بما يماثلها من اللغات الاوربية بلغت نحو ٣٠٠٠ مثل لم تطبع . ومن أبحاثه مقابلة بين اللغة اليونانية القديمة واللغة العربية والبرهان على اشتراك اللغتين في بعض الاشتقاقات . وهذا الموضوع كان يعمل فيه الى آخر ايامه وقد نشر شيئاً قليلاً منه بالمناسبات في هذه المجلة .

وقد أبنه بعد الصلاة عليه في كنيسة الروم الارثوذكس غبطة العالم المفوه السيد غريغور يوس حداد الرابع ، ومما قاله فيه بعد ان عدد اعماله في النهضة بمدارس الروم سنين طويلة وألمّ بصفاته وأخلاقه انه أخذ الحكمة من منبعها في آثينة . ثم قام على الاثر في البيعة رئيس المجمع العلمي وكاتب هذه السطور وابنه باسم المجمع ، فما قال فيه : « حقاً ان هذه السنة سنة المصائب ومن أعظمها رحيل صديقنا ورصيفنا المرحوم الياس بك القدسي على صورة سريعة أدهشت الأحباب وأزعجتهم . أفجع الفجائع الفجيعة بالحبيب ، خصوصاً اذا كان الإخلاص المطلق سدى الحب ولحمته . صحبت صديقي الذي أبكيه الآن منذ نحو ٣٢ سنة فما رأيته ، منذ اجتمعنا الى ان قضى الله بفراقنا ، الا مثال الوفاء والكرم ، وهما الصفتان اللتان يمتاز بهما الرجل العربي الحر الأبي .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

عرفته وهو يؤوينا في بيته ، ويحمينا بالعَلَم الذي كان يرفرف على داره ، فما كان الا كأحدنا او أشد غيرة على هذا الوطن ، وربما كان اكثر تأثراً عليه ، وسعياً لاستكمال أسباب سعادته . عرفته أديباً يحب كل من اشتغلوا بالعلم والأدب ، ويهيئ لهم السبل الى التكامل ، ويدفعهم الى التقدم . ولما أنشئ المجمع العلمي بعد الحرب العالمية كان اول من لبى دعوة اخوانه ليعمل معهم ، وكان عمله يوازي عمل الشباب من الأعضاء ان لم يبزّهم . وما وَكل اليه قط امر ولم يوفه حقه ، ويتمه على نظام تام وتدقيق عجيب .

كان المجلس الذي يجلس فيه صديقي الياس القدسي مجلس الانس بجملته وتفصيله ، يفيض بهجةً وسروراً ، لانه على ما أوتي من علم حديث وعرف من لغات حية وغير حية وخبر من أحوال المجتمع ، المرجع الاول في اللغة العربية العامية ، ومَن منه لم يقرأ شيئاً مما خطته أنامله من الشعر العامي ، وأملاه روحه الشفاف من النكات ولم يعجب ويعتبر . وربما لا أُخطئ اذا قلت ان صديقي الراحل كان صورة من صور القصور القديمة وتربيتها ، ممزوجة بروح عصري ، فهو قديم وحديث ، وهو غصامي وعظامي . فلئن حزنت لوفاته فقد فقدت به أخاً باراً ، وخلاً وفياً ، وأديباً فناناً ، وخبيراً في شؤون هذا المجتمع يكاد يكون منقطع القرين بمعلوماته ، ونسخة جميلة من التربية القديمة العربية ، مزينة بالتربية الحديثة . وهو نادر المثال بتربيته وأدبه ودوؤبه ولطف نادرته وجميل محاضرته . رحمه الله عدد حسناته وطيب صفاته ، وسبحان من هذا فعله لا رادّ لقضائه ، ولا مفرّ من بلائه ، وانا لله وانا اليه راجعون .

م . ك

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net